



مقدمة:

إن للباطل في هذا العصر صولة وجولة، وكلمة و موقف، فله خطط وبرامج وقنوات، وما انتفس الباطل وارتقت كلمته إلا لتخاذل أهل الحق، ونكوصهم عن المواجهة، وإظهار محسن الحق الذي يحملونه وينسبون إليه.
إن أهل الباطل يدافعون عن باطلهم، ويبذلون في سبيل نشره وإقناع الناس به كل غال ونفيض.
وليس الأمر مقتضاً على الدعوة فقط، بل إنهم يبثون أتباعهم في صفوف الجماهير لتثبيتهم على الوفاء لمبادئ الخبيثة، وأهدافٍ قبيحة، وغاياتٍ خاسرة.

هل تذكرت أخي أن دينك هذا الذي تدين الله به مستهدف بعداء مرير وكيد طويل ؟

ماذَا قدمت لدين الله ؟

سؤال يجب ألا نمل طرحة، وألا نسامم تكراره؛ لنحيي في القلوب قضية العمل لهذا الدين، هذا الدين الذي تعب من أجله آدم، وناح لأجله نوح، ورمى في النار الخليل، وأضجع للذبح إسماعيل، وبئس يوسف بثمن بخس وليث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقادسي الصُّرُأْيُوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد صلى الله عليه وسلم.

عناصر الخطبة:

- 1 واقع مرير .
- 2 أمانة عظيمة .
- 3 وقوفهم إنهم مسؤولون .
- 4 مصابيح مضيئة ممن سلف .
- 5 على دروب السؤال:

- * حمل هم الأمة في قلبك .
- * في زمن انتشر فيه الغلوك .
- * بلغو عنِي ولو آية .
- * صحبة صالحة تحمل معك .

1- واقع مريء

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يوشك الأئم أن تداعى عليكم، كما تداعى الأكلة إلى قصعتها). فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كفثاء السبيل، ولينزع عن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكراهية الموت) أخرجه أبو داود في سننه وهو صحيح.

لا يخفى على أحدٍ من المسلمين مرارة الواقع الذين يعيشون، فرقه وتشرذم، تسلط للأعداء كما يتداعى الأكلة إلى قصعتهم، استضعف وتنكيل بأهل الإسلام شرقاً وغرباً، غنائية عجيبة بالمحمل، وفي التفاصيل فدوبيلات متصارعة، ونعرات بغضة، جهل بعد علم، وشتات بعد وحدة، وذلة بعد عزة، وتقلّت بعد التزام، وتيه في صحراء الجهل، وتسلّل على موائد البشرية وإنماجها الفكري والإنساني -بعد أن كنا أساتذة البشرية في كل ميادين الحضارة- ..
ولا نتوسع في هذا الباب الذي يدركه كل عاقل .. واقع يستنهض الهمم، ويستحث الخطى لتجاوزه وتغييره ..

2- أمانة عظيمة:

كيف لا.. ونحن ورثة قوله تعالى : (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنْسَانٌ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) (الأحزاب:72)

أمانة الفرائض والحدود والتشريع - كما نقل الطبرى في تفسيره - هذه الأمانة الثقلة التي حملناها على أعناقنا، وأمرنا بت比利غها للناس كافة (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الْدِينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (التوبه:33)
(كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (آل عمران: 110)
(فُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) (يوسف: 108)
فهل وعيينا هذه الآيات العظيمة ؟؟ !!

3- وقفوه إنهم مسؤولون:

وهل ترانا نعي قول الله تعالى (وَقَفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) (الصافات:24).

هذه الآية التي قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بصلوة ليلة العشاء، فقرأ سورة الصافات بعد الفاتحة، حتى أتى على هذه الآية : (وَقَفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) وصار يبكي ، وهو يخاف من المسؤولية والحساب .. حتى طلع عليه الفجر ولم يركع ، ودموعه على خديه ..

هذا الخليفة العادل الفاروق. فكيف سيكون موقفنا نحن المقصرؤن ؟؟ ! ..

هذه الآية أحدثت ثورة عظيمة لما وعتها النفوس المؤمنة فتحولت من رعي الغنم إلى قيادة الأمم، ومن أمة تعبد الوثن والصنم إلى أمة دعوا صلت في قرطبة وخطبت في الفسطاط، وبنت المساجد في كل صقع، ونشرت العدل والسلام في كل مكان .

والآن يأتي السؤال المخرج – ربما ... ماذا قدمت أنت لهذا السؤال ؟؟ ماذا حضرت من إنجازات وما ثار بين يديه ؟؟

رَوَى ابْنُ حِبَّانَ وَالترمذِيُّ فِي جَامِعِهِ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (لَا تَزُولُ قَدْمًا عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ وَعَنْ مَالِهِ مَمَّا اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ وَعَنْ جَسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ) (السلسة الصحيحة: 946)

وإذا كان العبد يُسأل عن ساعات قضاها من عمره، أو عن جسده البالى، وعن مالٍ هو من عَرَضَ الدُّنيَا ... فكيف بأمانة الدين وحمله؟؟

الذي ما وصل إلينا إلا على أشلاء وجماجم من ضحوا في سبيله بأرواحهم واسترخصوها لله تعالى، فملايين الأنفس قد أزهقت من لدن محمد صلى الله عليه وسلم، بل من لدن آدم عليه السلام، ليصل إلينا هذا الدين غصاً طرياً، وكيف بالشريعة الغراء التي تحبي النفوس والأفئدة ؟؟ وكيف بأمتك التي هي خير أمة أخرجت للناس (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتُ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثُرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (آل عمران: 110).

فماذا قدمت لها؟؟ هل سألت نفسك هذا السؤال؟ وقد علمت أنك واقف بين يدي ربك غداً مسؤولاً عنه في موقف تشيب منه الولدان، وتذهب كل مرضعة فيه عما أرضعت .. (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذَهَّلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلٍ حَمَلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) (الحج: 2)

وعالى بنا نرى ماذا فعل من فقه هذه المعاني من أجل ذلك السؤال ...

4- مصابيح مضيئة من سلف:

عن أنس بن مالك، قال: (جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أن ابعث معنا رجالاً يعلمونا القرآن والسنّة، فبعث إليهم سبعين رجلاً من الأنصار، يقال لهم: القراء، فيهم خالي حرام، يقرءون القرآن، ويتدارسون بالليل يتعلمون، وكانوا بالنهاي يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد، ويحتطبون فيبيعونه، ويشربون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء، فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، فعرضوا لهم، فقتلوا قبل أن يصلوا المكان، فقالوا: اللهم، بلغنا نبينا أننا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت علينا، قال: وأتي رجل حراماً، خال أنس من خلفه، فطعنه برمح حتى أتى به، فقال حرام: فرت ورب الكعبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: " إن إخوانكم قد قتلوا، وإنهم قالوا: اللهم بلغنا نبينا أننا قد لقيناك فرضينا عنك، ورضيت علينا" (مسلم: 1511)

للله درهم .. قدموا أرواحهم ، فهلا قدمتنا أوقاتنا... ؟!

ووجد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم وبقي شهراً يدعو على قاتليهم في صلاة الفجر، فعن أنس رضي الله عنه: (يَعْثَثُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ فَأَصْبِبُوا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَ عَلَى شَيْءٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ، فَقَنَّتْ شَهْرًا فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَيَقُولُ: إِنَّ عُصَيَّةَ عَصَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (البخاري: 6394)

* وهذا القائد يوسف صلاح الدين الأيوبي أتته رسالة من المسجد الأقصى تستتجده:

يا أيها الملك الذي *** لمعالم الصليبان نكس
جاءت إليك رسالة *** تشكوك من البيت المقدس
كل المساجد طهرت *** وأنا على شرفني أنس

فانتحى وصاح: واؤا إسلاماه، وامتنع عن الضحك وسارع في الإعداد ولم يقارب بعدها ما يوجب الغسل.
ودخل المسلمين بيت المقدس، وطهوروه من الصليب وطهوروه من الخنزير، ونادى المسلمين بالاذان ووحدوا الرحمن وجاء الحق وبطلت الأباطيل وكثرت السجادات وتنوعت العبادات وارتقت الدعوات وتنزلت البركات وانجلت الكربات وأقيمت الصلوات وأذن المؤذنون وخرس القسيسون وأحضر منبر نور الدين الشهيد عليه رحمة الله الجليل الذي كان يأمل أن يكون الفتح على يديه فكان على يدي تلميذه صلاح الدين، ورقى الخطيب المنبر في أول جمعة بعد تعطل الجمعة والجماعة في المسجد الأقصى دام واحداً وتسعين عاماً، فكان مما بدأ به الخطيب خطبته بعد أن حمد الله أن قال: (فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الأنعام:45)، (لَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلٍ وَمِنْ بَعْدٍ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ) (الروم:4).

* وهذا عقبة بن نافع والي المغرب - زمن يزيد بن معاوية - .. وكان عقبة قد فتح شمال أفريقيا على فترتين - تجاوز في الثانية جبال الأطلسي ليجد نفسه فجأة في مواجهة المحيط فدخله بفرسه وقال: {اللهم لو كنت أعلم أن وراء هذا البحر أرضاً لخضتها إليها}.

فسبحان الله.. ما أعظم هذه الهمم!! وما أروع هذه النقوس!!
ولو ذهبت تذكر أمثال هؤلاء الأفذاذ، لجف قلمك، وتوقفت كلماتك، وحتى لا يُقال هؤلاء في عصر غابر، ومن خير القرون * فإن إليك حال الشيخ أحمد ياسين - رحمة الله - فلقد قعد عن الحركة منذ أن كان ابن ستة عشر عاماً، وعاش آخر سنوات حياته، وهو يكاد أن لا يستطيع أن يحرك أي جزء من جسمه، ويقاد أن لا يبصر إلا قليلاً، ويعاني من ضعفٍ في السمع، والتهابٍ مزمنٍ في الرئة، وأمراضٍ أخرى، ومع ذلك كان - رحمة الله - يحمل همةً فتية، وروحاً وثابة، وعزماً لا يلين، يحطم الصخرة، ويفلّ الحديد ويردد:

سأثارُ؛ لكن لربِّ ودينِ *** وأمضي على سنتي في يقين
فإما إلى النصر فوق الأنام *** وإما إلى الله في الخالدين

ويردد :

هتمي همةُ الملوك، ونفسي *** نفس حِرْتَى المذلة كفراً

فماذا قدمنا نحن الأصحاب؟؟ وما هو جوابنا بين يدي السؤال؟ (وقفوهم إنهم مسؤولون) (الصفات: 24).

5- على دروب السؤال:

* - احمل هم الأمة في قلبك، واجعل له مكاناً لها في خريطة ذهنك، وفرّج جزءاً من وقتك الذي ستسأل عنه لتعلم أحكام هذا الدين، وتنهل من معينه الوافر، وينبوعه الصافي، ول يكن لسان حالك:

سأحمل دعوة الإسلام وحدي *** ولو أن العالمين لها أساوٌ
فذلك عقيدةٌ ملأت فؤادي *** كما ملأت شراييني الدماء
إذا كان الفناء سبيلٌ خلِدٌ *** فمرحى ثم مرحى يا فناء

* - في زمن انتشر فيه الغلو في الدين: عليك أمانة التبليغ، ونشر صورة الإسلام الوسطية الناصعة، التي بنى بها النبي صلى الله عليه وسلم دولة في ثلاثة وعشرين سنة فقط، وفتح أصحابه الدنيا من بعده بهذه الدعوة عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (اللهم، منولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه، ومنولي من أمر أمتي شيئاً فرق بهم، فارفق به) (مسلم: 1828).

وفي حديث أبي ذر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ومن دعا رجالاً بالكفر، أو قال: عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه)

وفي سنن ابن ماجة وصححه الألباني قال صلى الله عليه وسلم: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين) (ابن ماجه: 3029)

قال تعالى: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُو فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ) (النساء: 171).

وقال: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة: 143)

* - بلغو عنِّي ولو آية:

فأنت ابن الإسلام، وأنعم الله عليك بأن تربيت في بيئه مسلمة، فلا تقصّر في تبليغ ما تعرفه ولو آية من الآيات وابداً ببيتك، وأسرتك، وحياتك ثم بمن تعرف .. عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أنَّ النَّبِيَّ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (لَيَلْغُوا عَنِّي وَلَوْ آتَيْتُهُمْ إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُنَعَّمَدًا فَلَيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) . (رواه البخاري)

* - صحبة طيبة تحمل معك:

فإِنَّ الْمُؤْمِنَ الْقَوِيَّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الْمُضِعِيفِ) (رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه).

قال تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَيْحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا *) (طه: 29-35)

اللهم انصر دينك نصراً عزيزاً، وأعز المسلمين واجعلنا ممن تُعزُّ بهم دينك وعبادك .. آمين والحمد لله رب العالمين.